رحلة صاحب المجلة

الى فلسطين وسوريا

كثيرون من الناس يتعشقون قراءة الرحلات لانها نوع من الروايات تنتقل بهم قرائنها من وصف طريق الى وصف مدينة الى ذكر أحوال البلاد الاجتماعية والاقتصادية — الى ما هو واقع عليهم من غبن وضيم — الى مزاحمة النازحين اليها لاهلها — إلى الجهاد في مضمار البقاء إلى رسوم عديدة — إلى غير ذلك من الشؤون، ووصف العلاج الناجع لتلك الادواء العمرانية بقدر ما يصل اليه المجهود وبقدر ما يكون الواصف مخلصاً في حب وطنه وبلاده وأبناء جنسه ونحن لا نتوخى فيما نكتب غير خدمة البلاد وأهلها متجنبين خوض غمار السياسة تاركينها لاصحاب الجرائد اليومية فنقول وعلى الله الاتكال

الشعور بالذل والاستعباد

ما شعرت بالذل والاستعباد وما عرفت اني مقيد الحرية لا أستطيع الانتقال من مكان الى آخر بل لا أستطيع دخول بلادي الا بتصريح خاص ومعاملات خاصة ورجاء واستعطاف تستغرق وقتاً طويلاً ونفقات طائلة الا عند ما أردت الحصول على جواز السفر . هنالك شعرت اني عبد رقيق لقوم ابتاعوني وابتاعوا حريتي بدراهم معدودة ووضعوني في قفص لا يفتحون لي بابه الا بعد دفع جزء من الثمن الذي ابتاعوني به . اذ ذاك صغرت نفسي في عيني وعلمت اني ذليل مستعبد فلا حول ولا . وقد مرت في مخيلتي معاني الوطنية والاستقلال ومجدت كل امة تطالب باستقلالها وحكمت بأنها مهما بذلت في هذا السبيل من أموال وقوى ومجهودات فانها انما تقوم بقليل من كثير مما يجب عليها أن تفعله

وقد ناجيت نفسي قائلاً : لماذا يضيق المنتدبون على الناس مثل هذا التضييق

الشديد ؟ ولم يكلفوهم تحمل الأتعاب والمشاق ؟ ولم يستنزفون أموالهم بغير مسوغ شرعي ؟ بعد ان وطدوا أقدامهم في البلاد ودوخوا العباد وجمعوا الاسلحة وسيروا الاهالي كما يشاءون وكما تشاء أهواؤهم !... وانهم لو أمعنوا النظر لادركوا لا محالة انهم يرتكبون خطأ فادحاً وانهم يحملون الناس على سوء الظن بنواياهم وتصرفاتهم بل انهم ينبهون الافكار للتخلص من هذه الحالة السيئة ويدفعون الناس الى بذل الجهد لطرح هذا النير الثقيل عن أعناقهم. صرح الحلفاء المنتدبون انهم جاءوا لنصرة الأمم المستضعفة وانقاذها من ربقة الاستعباد ومنحها الحرية وقد صدقنا هذه الاقوال ودعوناهم رسل رحمة ونعتناهم بالعدالة والانصاف ورقة الشعور وشرف الوجدان ولكن علمنا بعد ذلك انا ما كنا الا مغرورين وان تلك النعوت والالقاب لا وجود لها في قواميس السياسة وانها ما كانت الا آل بيلقمة وبرق خلب

وقد كلفني جواز المرور نحو ٢٨٠ قرشاً مصرياً عدا انتظار أيام وساعات وعدا أجور عربات وترام وقد كان جواز السفر قبل الحرب يكلف اثني عشر قرشاً ونصفاً وقد قال أحد الظرفاء بهذه المناسبة ان انكلترا وفرنسا تتقاضيان من الناس جزءاً من غرامة الحرب وياليت الامر وقف عند هذا الحد بل انك وأنت مسافر تضطر الى الوقوف زمناً ذليلا صاغراً في كل نقطة بوليس تمر بها في سفرك سواء كان في فلسطين أو بين حيفا وبيروت أو في لبنان ودمشق ومجمل القول ان شكوى المصطافين عامة من التضييق على حريتهم الى هذا الحد المقوت الذي تأباه النفوس الابية

من مصر الى حيفا

سار بنا القطار من القاهرة عند الساعة السادسة والربع مساء فبلغنا القنطرة الغربية عند الساعة العاشرة والربع فدخلنا الجمرك وكنا جماعة كبيرة ووضع الحمالون حقائبنا على مرتفع مستدير من الخشب فأقبل الموظفون وجعلوا يفتشون الامتعة

بدقة وسرعة ما رأيت مثيلها في جمرك آخر وفي الوقت نفسه كانوا يلاطفون الركاب ويهشون في وجوههم والحق يقال فان موظفي جمرك القنطرة على اختلاف وظائفهم يستحقون كل شكر وثناء لما أبدوه من المهارة واللياقة وحسن معاملة المسافرين وفي مقدمتهم حضرة المأمور حافظ افندي حفظي وحضرة حسين افندي البشبيشي وسائر الموظفين الذين يقومون باعباء وظائفهم خير قيام

وعند منتصف الليل سار بنا القطار في صحراء التيه وكنا نسمع عواء بنات آوى . وهذه الصحراء يقطنها جماعة من الاعراب متفرقين في أنحائها وهم يعتنون بتربية الجمال والحيوانات الداجنة وفيها آبار وعيون يستقون منها وغابات من النخل وعند الساعة الخامسة صباحاً بلغنا مدينة غزة التي نكبت في الحرب العظمى وتهدم اكثر منازلها ومدينة غزة قديمة العهد جداً وقد فتحها القائد العربي عمرو ابن العاص في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وفيها مدفن هاشم بن عبد مناف جد النبي (صلعم) وقد رثاه مطرود بن كعب الخزاعي بقوله

مات الندى بالشام لما ان ثوى فيه بغزة هاشم لا يبعد
لا يبعدن رب القناة بعوده عود السقيم بجود بين العود
محتانه ردم لمن يغتابه والنصر منه بالسان وباليد

ولذلك سميت بغزة هاشم وورد ذكرها في شعر ابي نواس حيث قال

طوالب بالاركان غزة هاشم وبالفرما من حاجهن شقور

وولد في غزة الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه وهو الذي قال فيها

واني لمشتاق الى أرض غزة وان خانني بعد التفرق كتماني
سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها كحلت به من شدة الشوق اجفاني

وفي غزة أسر عريقة في الحسب والنسب كأسرة الشوا والعلمي والصوراني وظريفه وحبيب وغيرها وهاجر كثيرون من مسيحييها الى مصر فاتخذوها وطناً لهم حيث أثروا وأثروا كعائلة ظريفه وعلى رأسها حضرة الوجيه ميشيل افندي

ظريفه الذي له اليد الطولى والقدح المعلى في ترقية صناعة الجلد وعمل الحقائب والمحافظ وأطواق الطرابيش وكانت تأتينا من أوربا ونبتاعها بثمن باهظ ومن عائلة ظريفه الخواجات شكري ونجيب وغيرهم الذين أظهروا نشاطاً وهمة في التجارة حتى غدوا خير مثل يحتذى به ومن عائلات غزة المشهورة في معمر عائلة صاحب العزة ميشيل بك أيوب صاحب الايادي البيضاء في الاعمال الخيرية وعائلة الطيب الذكر الجليل الأثر المرحوم داود حبيب وعلى رأسها الشابان النجيبان النشيطان خليل افندي وفيليب افندي اللذان لهما فضل السبق في مضمار التجارة والاعمال الخيرية .

ثم وصلنا اللد ومنها تابعنا السير بين المستعمرات الاسرائيلية التي هي بمثابة رياض غناء وحدائق فيحاء وسنفرد لها فصلا خاصاً فيما بعد وأخيراً وصلنا حيفا عند الساعة التاسعة والنصف

حيفا

(منظر مدينة حيفا العام)

مدينة حيفا فرضة على البحر المتوسط مبنية في سفح جبل الكرمل وامتدت أبنيتها على أسناد ذلك الجبل ويشتد فيها الحر والرطوبة صيفاً فهي كمدينة الاسكندرية في هذا الفصل وأصعب ما فيها صيفاً أن الهواء يسكن ليلاً ويشتد الحر لدرجة

تزهق فيها الارواح وتحرج الصدور ومياهها ماح لا يصلح للشرب الا في ظاهر المدينة فقد احتفروا آباراً عديدة جاء ماؤها عذباً لا تمجه النفس ومرفأها بطبيعته هادي، يصد عنه جبل الكرمل الرياح الشديدة فاذا هبت الرياح في البحر وتعاظمت الامواج تلجأ البواخر الى ميناء حيفا حيث تجد موقفاً أميناً يقيها شر الرياح. وفي سنة ١٨٦٨ أسس فيها جماعة من الالمان من ولاية ورتنبرغ مستعمرة أنيقة شادوا فيها البيوت صفين متقابلين وأحاطوها بالحدائق الغناء وغرسوا على جانبي الطريق الاشجار فأصبحت مستعمرتهم بذلك روضة فيحاء ذات منظر يخلب الالباب ويأخذ بمجامع القلوب وقد أسس هؤلاء الالمان النشيطون معامل الصابون والجعة واشتغلوا بالتجارة والزراعة فأثروا ومرحوا في رياض الرخاء ورغد العيش. ثم جاء بعدهم الصهيونيون وانشأوا المنازل في ضواحي المدينة كما أسسوا فيها المطاحن البخارية على أحدث طراز وكذلك دور الصناعة وأنشأوا فيها المدارس العديدة ومنها مدرسة ثانوية أقاموا لها بناء ضخماً على النسق الشرقي وفيها طلاب عديدون يتعلمون العلوم العالية وأساتذة علماء لهم خبرة واسعة في فن التعليم وهذا رسم تلك المدرسة القائمة على منحدر جبل الكرمل

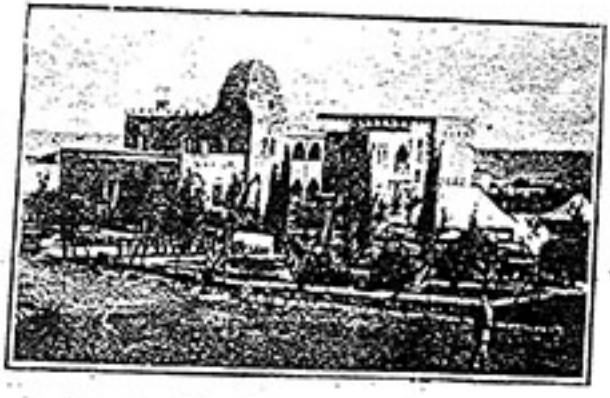

المدرسة الثانوية الصهيونية

وتقاطرا الصهيونيون على مدينة حيفا من كل جدب وصوب وزاحموا الاهالي

في الصناعة والتجارة وجميع شؤون الحياة الاقتصادية فحسنت حالهم وكسدت تجارة الوطنيين وصناعاتهم وأصبح جلهم ان لم نقل كلهم يشكون الفاقة والعسر والاعواز . خذلك مثلا : أن الخياط الوطني لا يخيط البذلة إلا بأجرة تتراوح بين المائتين والمائتين وخمسين قرشاً والخياط اليهودي يخيطها بمائة قرش والحلاق الصهيوني يحلق الذقن بقرش واحد والوطني اذا دفعت له أقل من خمسة قروش على حلاقة الذقن عبس وشحب لون وجهه . يستأجر الصهيوني حانوتاً واسعاً يقسمه الى قسمين ، يعيش مع عائلته في الجانب الواحد ويبيع سلعه في الجانب الثاني وقد اشتدت المزاحمة بين الفريقين لدرجة لا قياس لها والغريب في كل هذه المشاهدات أن الوطني لا يستفيد مما حوله ولا يعتبر ولا يتناول درساً من البيئة الموجود فيها فلا يجاري الغرباء في النشاط والاقدام ولا ينسج على منوالهم في التجارة والاقتصاد والانصباب على العمل ومع علمه بأنه سائر في سبيل الانحطاط التدريجي ورؤيته كل يوم تقدم الغرباء عليه فانه جامد أو انه أصيب بالذهول فأصبح لا يدري ماذا يعمل ولا نرى منه غير الشكوى من سوء الحال وغدرات الزمان وجهل أو تجاهل أن الدنيا دار جهاد وان سكانها يتطاحنون في سبيل تزاحم البقاء وأن القوي يتغلب على الضعيف ويدحرجه تدريجاً حتى يرغمه على الرحيل من وطنه ومع ذلك فلا نجد للوطنيين قائداً مخلصاً وزعيماً ظاهر النية يقودهم الى سواء السبيل ويرشدهم الى مافي مصلحتهم . أجل أن هناك جمعيات وأحزاباً ولكنها وجدت للتطاحن وجر الغنائم وبين هذا وذاك نرى الوطن يذوب كالشمعة أمام النار ، نرى اراضيه تتسرب إلى أيدي الغرباء ونرى الوجهاء والسراة يبيعون بلادهم وأراضيهم والحق الذي لامراء فيه أن مستقبل فلسطين مظلم جداً واننا نقف عند هذا الحد من الكلام لان مبدأ المجلة لا يسمح لنا بالتصريح باكثر من هذا

وقد أدى التزاحم في حيفا الى نتيجة سيئة غير طبيعية ما رأيت مثلها في بلد ما فقد قلت فيها الاعمال كثيراً واشتد فيها الغلاء فارتفعت أجور المنازل ومحلات

التجارة وأثمان الحاجيات المعيشية ولا أغالي اذا قلت أن المعيشة في حيفا أغلى منها في مصر أضعافاً والمعروف المألوف أنه كلما كسدت الاعمال وتوقف دولاب التجارة كلما هبطت الاسعار لقلة المال في أيدي الناس ولكن الحالة في حيفا على عكس ذلك .

ان منظر حيفا من البحر أو من جبل الكرمل جميل جداً وذلك يخالف منظرها من داخلها

منظر حيفا من جبل الكرمل

أحد أسواق حيفا

لقد زرت في هذه الرحلة بيروت ولبنان وطرابلس وصيدا ودمشق فما رأيت مدينة منها أنظف من حيفا ولا رأيت مجلساً بلدياً مهتماً بالاصلاح كمجلس بلديتها فانك أينما سرت تجد جماعات العمال يشتغلون بشوارع جديدة وبرصفونها بالحصى في داخل المدينة وخارجها وعلمت أن مجلسها البلدي وضع رسوماً لشوارع

جديدة ويفاوض أصحاب الاملاك لنزع ملكية بعض المنازل لجعل تلك الشوارع تضارع أمثالها في المدن الكبرى ثم أن المجلس لا يسمح ببناء منزل جديد إلا اذا كان رسمه لا يخل بالنظام الهندسي والحق الذي لا مراء فيه أن مجلس بلدية حيفا يقوم بأعمال عظيمة اذا لبثت سائرة على هذه الهمة فانه لا تمضي اعوام قليلة حتى تصبح حيفا من المدن المنظمة الجميلة وكل ذلك بهمة رئيس ذلك المجلس المقدام العامل عبد الرحمن أفندي الحاج الذي لا يفتر ساعة عن بذل المجهودات في تحسين المدينة والعمل على اصلاحها وترقيتها وقد اكتسب محبة جميع الناس على اختلاف الاجناس فلا تسمع إلا ألسنة تاريج بمدحه والثناء عليه أكثر الله من أمثاله الرجال العاملين الذين بهم تنهض البلاد وتسير في مدارج الفلاح ومعارج النجاح ومما رأيته في حيفا ولا مثيل له في البلاد الاخرى أن المجلس البلدي لا يسمح بفتح الحانات ومحلات الخمور إلا للساعة التاسعة مساء وهي مأثرة حميدة نسطرها له بمداد الشكر والثناء . ومن حيفا يبتدىء الخط الحديدي الحجازي الذي أنشيء في عهد المغفور له السلطان عبد الحميد ومحطته من أجمل المحطات وأوسعها وهذا رسمها .

محطة الخط الحديدي الحجازي

زرت في حيفا دار مركز المذهب البهائي الواقعة في ظاهر المدينة وهي دار بديعة البناء تحدق بها حديقة غناء منسقة تنسيقاً بهياً يدل على سلامة الذوق والمهارة

فاستقبلني فيها حضرة الـ يوبن الفاضلين ميرزا هادي افندي الشيرازي وميرزا محسن أفندي صبري زعيم البهائية وناشر لوائها الطيب الذكر عباس افندي عبد البهاء ذاكرا وفادتي واظهرا لي مزيد الحفاوة مما يدل على طيب عنصرهم ووفرة مكارمهما . وما زالت هذه الدار محط رحال الزائرين الذين يتوافدون عليها من جميع أقطار العالم : من أميركا وأوربا وبلاد فارس والهند ومصر وسوريا وفلسطين فيقابلون بالبشاشة والهشاشة وتقام لهم الولائم الفاخرة ومعظمهم يذهبون الى جبل الكرمل (جبل بيت الرب) لزيارة ضريح قطب الدائرة البهائية وزعيم النهضة الدينية والحركة الروحية عباس افندي عبد البهاء وقد زرت بنفسي ضريحه عام ١٩٢٣ فألفيت فيه جماعة من النساء المسلمات والمسيحيات يقدمن له النذور ويضئن الشموع حول ضريحه فدنوت من احدى السيدات المسيحيات من مدينة عكا وسألتها ماذا تعتقدين بصاحب الضريح فأجابت : أنا أعلم بنفسي انه كان رجلاً صالحاً محباً للانسانية على اختلاف مذاهب أبنائها وملهم محسنا لفقرائهم مواسيا لمرضاهم معزيا لهم في مصائبهم يسارع الى نجدة المظلوم واغاثة الملهوف وقد قضى حياته بيننا كان فيها مثالا للكارم وأنموذجا للطهارة والفضيلة ومثل هذا يستحق الاكرام والاجلال والتوقير والاحترام . ثم استطردت السيدة الكلام فقالت وقد حدث ان ابني هذا أصيب بحمى خبيثة فنذرت نذراً لعباس افندي ان شفي ولدي فما مضت على اثر ذلك أيام ثلاثة حتى شفي ولدي شفاء تاما وقد قدمت من عكا لوفاء نذري . والحق الذي لا مراء فيه ان جميع أهالي عكا وحيفا والناصرة والبلاد المجاورة يذكرون حضرة عباس افندي بمزيد الاكرام وله في قلوبهم مكانة عظيمة لم ينالها قبله أحد وجميعهم يروون عن مكارمه وفضله وغزارة علمه وسعة اطلاعه وسمو مداركه روايات عجيبة مدهشة تطرب السامع وتجعله يمجد ذكره ويعاطي رأسه أمام تلك الاخلاق الكريمة والمآثر الجليلة والاعمال المجيدة .

هيهات أن يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله لضنين

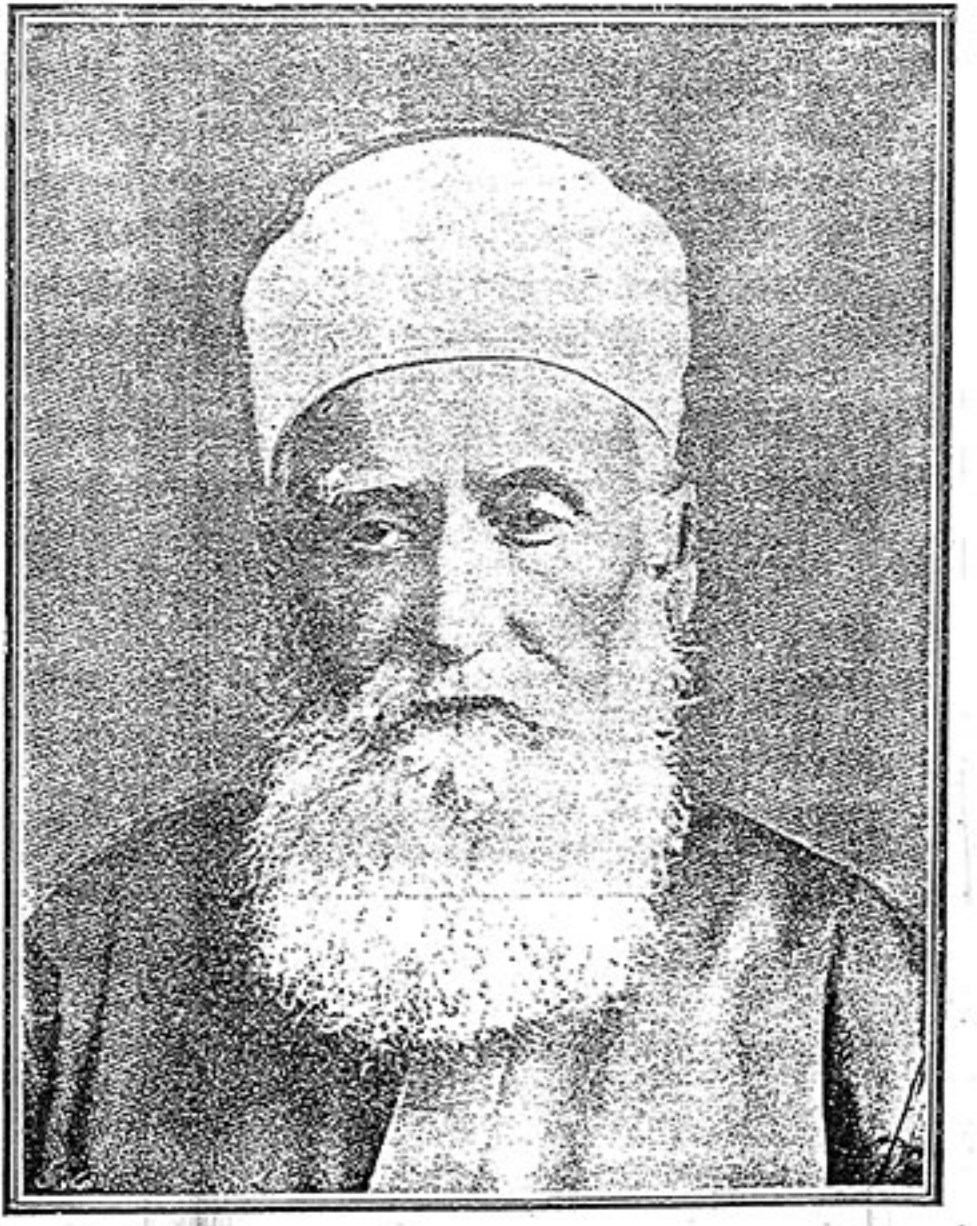

حضرة عباس افندي عبد البهاء ولد سنة ١٨٤٤ وتوفي سنة ١٩٢١

حضرة شوقي افندي الرباني الغصن الممتاز وظيفة عبد البهاء (١)

وبعد انتقاله الى جوار ربه فتحت وصيته فوجد فيها انه قد اختار من بعده لرئاسة البهائية ابن كريمته ومبعث نوره الغصن الممتاز لشجرة البهائية الكبرى الوارفة الظلال شوقي افندي الذي أجمع البهائيون على انه شريف النسب ، كريم

(١) هذه اول مرة يظهر فيها رسم حضرة شوقي افندي الرباني وقد اعطيت خصيصاً لمجلة الاخاء

الحسب عريق الطرفين معا : من جهة اتصاله بجده عبد البهاء واتصاله من جهة ابيه بذات (الباب) فهو وليد الشمس والقمر وكوكب البهائية الساطع وبدرها اللامع وقد وقع اختياره موقع الاستحسان عند جميع البهائيين في جميع أقطار العالم ووردت الوف الرسائل البرقية والبريدية مؤيدة لخلافته وزعامته . الا ان هنالك نفراً ضعيفا في حيفا وعكا لا قيمة لهم أدبياً ولا علمياً ولا اجتماعيا خالفوا الجماعة ونبذوا الطاعة ولم يعترفوا بالزعامة فنبذهم البهائيون نبذ النواة وتركوهم وشأنهم يعرفون بما لا يعرفون ولله في خلقه شؤون

درج شوقي افندي الرباني في حجر جده وتغذى من روحه وتلقن مبادئه السامية فاستمد من فيض جده انما استعداد فكان جديراً أن يتقلد بعده هذا المكان الروحاني لمباشرة السعي وراء اتمام ما وضع وبسط عبد البهاء

تلقى حضرته العلوم بكلية بيروت الاميركية وأتم الدروس بجامعة اكسفورد فنبغ وتفوق حتى جمع في خلقه بين العلم الروحي والزمني وبين العظمة والجلال وقد جمع حكمة الشيوخ الى قوة الشباب وهو يقابل زائريه العديدين الذين يتوافدون لزيارته من سائر الاقطار السحيقة ويحرر الرسائل العديدة والالواح المختلفة الى أتباعه المنتشرين في كل حدب وصوب ويجيب بلا ملل ولا كلل على مئات والوف الرسائل التي ترده من البهائيين وغيرهم كما يجيب على الاسئلة المتعددة التي تأتيه من كل جهة فقرت به عيون البهائيين والمريدين والانصار ويرجو الجميع انه سينسج على منوال جده الاعظم في الفضائل والمكارم والسعي المتواصل في سبيل خير الانسانية حقق الله الآمال

تطاحن الطوائف المسيحية في حيفا

أدران التعصب الذميم

بزغ القرن العشرون وتفجرت ينابيع العلوم وأضاءت مصابيح العرفان واستنارت أفكار أهله بقبس المدنية ونبذ كثيرون منهم نعرة التعصب الديني

وأصبحوا يسيرون على تلك القاعدة السامية القائلة : « الدين لله والوطن للجميع » واعتقد آخرون ان البشر إخوان في الانسانية « أبوهم آدم والام حواء » فنأخى الناس في الوطنية والجنسية والجوار وتفرقوا في المساجد والكنائس والمعابد يعبد كل واحد منهم ربه بما يوحيه اليه معتقده ويلهمه اليه ادراكه

واذا رجعنا الى تاريخ الشرق والغرب ولا سيما تاريخ الاول منهما نجد ان الدين كان سبباً في تمزيق رابطة وطنية أهله واثارة الفتن وبث عوامل التفريق بينهم بل كان سبباً في اهراق الدماء وازهاق النفوس البريئة الى غير ذلك من الشرور واذا أردنا زيادة الايضاح نقول ان رؤساء الاديان على اختلاف مذاهبهم كانت لهم اليد الطولى في تطاحن الشعوب وايجاد عوامل البغضاء والنفور بينهم

في انكلترا جمعية تسمى جمعية المبشرين تعقد في كل سنة اجتماعاً عاماً يحضره المبشرون في الصين والهند وسوريا ومصر وسائر أنحاء العالم وأذكر اني قرأت من عهد بعيد ان الورد سالسبوري وقف خطيباً في احد تلك الاجتماعات ورشق المبشرين بسهام الملام والتقريع وقال لهم : أنتم المسببون للمذابح الدموية التي تقع على المسيحيين من الوثنيين وغيرهم لانكم اتخذتم لكم قاعدة في التبشير وهي الطعن بالمذاهب الغير المسيحية وهذا مخالف لعقائد الدين المسيحي » .

اكتب هذه المقدمة والألم يمزق احشائي والأسى يهز أعصابي وذلك بمناسبة تلك العاصفة التي أثارها التعصب الذميم بين طائفتين شقيقتين عقائدهما واحدة وطقوسهما واحدة ولغتهما واحدة وجنسيتهما واحدة وأريد بهما طائفة الروم الارثوذكس وطائفة الروم الكاثوليك ويقولون ان المثير لهذه العاصفة الجانحة مجلة المسرة الكاثوليكية وسيادة المطران غريغوريوس حجار في حيفا . وقد اشتد التطاحن بين الطائفتين فنشرتا مقالات وكراريس تدلان على اننا عدنا الى القرون الوسطى المظلمة عصور الاضطهاد والمثالب والمطاعن

أبناء هاتين الطائفتين في فلسطين كانوا على جانب عظيم من الالفة والاتحاد يتصاهرون ويتزاورون فلماذا نعمل على صرم حبال مودتهما وايقاع النفور بينهما

ويل للذي تأتي العثرات بسببه خير له أن يعلق في عنقه حجر الرحى ويطرح في البحر .

ثم بينما يعمل عقلاء الطائفتين في مصر وسوريا على الاتحاد والوفاق والوئام وتوحيد الاعياد والكنائس بينما نراهم في فلسطين يتنافرون ويتنازعون وهي حالة لا يرضاها كل من في جسمه ذرة من الوطنية وفي رأسه ذرة من الادراك

نحن غير راضين عن هذه الحالة ولا نرضى بوجود هذا النزاع القائم بين الاخوة في الدين والوطنية ولذلك نطلب اليهم أن يكفوا عن هذه السخافات والترهات ويتحدوا معاً على ما فيه نفعهم وخيرهم وليعلموا ان بعض رؤساء الاديان يريدون الظهور على ظهور أبناء طوائفهم ليكسبوا شهرة ولا يدرون انهم يلعبون بالنار وستدور عليهم الدائرة الوخيمة

نعرف في القاهرة سيادة الخبر الجليل انطونيوس فرج مطران الروم الكاثوليك وهو معروف بالتساهل الديني الذي يأمر به الانجيل ويبذل كل مجهوداته في ترقية شؤون طائفته ومسالمة الطوائف الاخرى علماً منه ان عصر التعصب الذميم وعصر الجدال العقيم قد زالا ونعرف كذلك سيادة الارشمندريت فيلبس غره الكاثوليكي وما هو عليه من دماثة الاخلاق وحب السلام وانه دائماً يعمل لتوثيق عرى الالفة بين الطوائف المسيحية بمثل هذين السيدين يفتخر الدين المسيحي ويعتز ولماذا اذن نرى المطران حجار يخالف هذه القاعدة ويسعى لارجاعنا الى العصور المظلمة ولعله يقتدي برئيس السلام ويكف عن المماحكات التي لا تكسبه فخراً ولا ذكراً

ومما ساءنا في حيفا الخلاف القائم بين الطائفة الارثوذكسية وقيام فريق من أبنائها ضد الفريق الاكبر العامل القائم بخدمة الطائفة خدمة صادقة صحيحة منزهة عن الاغراض والشوائب . أنشأ بعضهم جمعية باسم جمعية الاصلاح تحت رئاسة رجل دخيل غريب يدعى ميخائيل أبو فاضل وتعريفه أنه رجل غير مشترك ولا بجمعية أرثوذكسية ولم يتبرع بحياته بقرش لها ولما أرادت الطائفة انشاء غرفة لدفن

المؤنى وجادته اللجنة تطلب منه تبرعاً لهذا الغرض أجاب أنه لبناني ولا شأن له بطائفة حيفا ولكنه لامر نعلمه نحن والراسخون في علم الماديات وجر المنافع قبل رئاسة تلك الجمعية وانضم اليه بعض الذين كانوا يرجون اقتراض مال من صندوق المجلس الملي بلا تأمين . أراد هؤلاء اسقاط المجلس الملي وخاطبوا سيادة مطران عكا بهذا الامر ورفعوا عقيرتهم بالشكوى والصراخ فقال لهم سيادة المطران نسقط نصف الاعضاء وننتخب سواهم بالتصويت فأبوا علماً منهم أنهم سيفشلون في الانتخاب لانهم اقلية ضعيفة أمام أكثرية ساحقة ولذلك اقول أنه لو انحل المجلس الملي كله لما نالوا اربا لضعفهم وانحلال قوتهم ونفور أكثر الذين انضموا اليهم لوقوفهم على غايتهم أما المجلس الملي وعلى رأسه ذلك الرجل العصامي المحسن الكبير والغيور الشهير الخواجه ميخائيل توما المتري المعروف وبين أعضائه أمثال الخواجات اسكندر كساب واسكندر برغش وسليمان الزروني وغيرهم ممن ذهبت أسماؤهم من الذاكرة فقد قاموا بأعمال باهرة للطائفة ويكفيهم دلالة على سمو مقاصدهم ونبالة أغراضهم شراءهم لوقف الطائفة الوطنية أملاك الخواجا سليم خياط بمبلغ خمسة آلاف جنيه وبلغ ايراده في العام نحو سبعمائة جنيه ولولا الهمة التي أبداها الخواجه ميخائيل توما وشقيقته الخواجه جبرائيل بتدبير المال لهذه الصفقة التي دهش لها الناس وقد ساعدهما في ذلك أعضاء المجلس مساعدة فعلية عادت عليهم جميعاً بالفخر واستحقوا عليها الشكر الجزيل من جميع أبناء الطائفة ولا أدري كيف تسلم أموال الطائفة لاولئك الذين عندما أخذوا غرفة في الكنيسة للاجتماع لم يكن في جيوبهم درهم لاصلاحها وعلقوا فيها بأول اجتماع عقدوه شعار لنين وهو شجرة إلى جانبها باطة ولولا تلافي العقلاء لهذا الجنون المطلق لحدث مالا تحمد عقباه وكان الاجدر بأولئك القائمين بهذه النهضة المنشأة بغشاء البهتان والاغراض أن ينضموا الى اخوانهم ويساعدوا الطائفة على الخلاص من نير اليونان الثقيل الذي أبهظ الكواهل وأقض المضاجع ونحن نكتفي بهذه المجالة لعل يكون بها عبرة لقوم يفعلون